٢٣ ـ الإصلاح السياسى والديموقراطى فى المنطقة العربية(*)

أ. معن بشور(**)

أود أن أشكر د. عبد المنعم المشاط مدير مركز البحوث السياسية على استضافتى فى هذا المؤتمر الهام. وأشكركم على اختيار موضوع الحرب الإسرائيلية على لبنان للحديث عنه فى هذا المؤتمر؛ لأنه حديث الساعة؛ ولأنه يتعلق حاليًا بما يجرى على الساحة اللبنانية من حيث الصراعات الطائفية؛ حيث كنت على اتصال منذ فترة قريبة مع رئيس الوزراء اللبنانى السنيورة، وتحدثت معه عن أسباب رفضه للمبادرة المصرية / السعودية كسبيل لخروج الشعب اللبنانى من أزمته الراهنة، ومحاولة تشكيل وحدة جديدة وطنية تستوعب جميع الأطراف.

أولاً: أثر الحرب على المنطقة

أما بالنسبة لآثار الحرب الإسرائيلية / اللبنانية على الشرق الأوسط؛ فلها عدة آثار من بينها أن هذه الحرب أدت إلى تطويق لبنان، فبالرغم من صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ إلا أن هناك المزيد من الاختراقات الإسرائيلية للأجواء اللبنانية، بالإضافة إلى ذلك هناك مناطق تم احتلالها فى هذه الحرب لا تزال إسرائيل تسيطر عليها، مع قيامها بإلقاء قنابل عنقودية داخل الأراضى اللبنانية.

هناك تباين واختلاف فى البيئة السياسية للوطن العربى؛ من تعدد للمذاهب الدينية والصراعات الطائفية؛ حيث داخل لبنان هناك صراع بين حكومة السنيورة وحزب الله

(*) نص مفرَّغ.

(**) الأمين العام السابق للمؤتمر القومى العربى.

الممثل للمعارضة، والمعارضة لا تقتصر على حزب الله فقط، فهناك حركة أمل، وحركات المعارضة هذه التى تلقى تأييداً كبيراً فى لبنان.

الإصلاح السياسى لا يتم إلا عن طريق النظام السياسى نفسه؛ فالأنظمة العربية عليها ضغوط خارجية هى التى تدفعها إلى طريق الإصلاح السياسى، فإرضاء القوى الدولية أهم عند الحكام العرب من إرضاء شعوبهم.

ثانيا: دور الإدارة الأمريكية

يضاف إلى ذلك أيضًا مدى تأثير هذه الحرب على المستوى الدولى والإقليمى.. حيث نجد أن حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ما كان سيحدث لو كانت السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط سياسة متزنة وغير منحازة انحيازاً سافراً إلى إسرائيل؛ فهؤلاء الشباب الذين نفذوا العملية يوم الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فعلوا ذلك نتيجة الظلم الأمريكى فى المنطقة، أضف إلى ذلك أنها جاءت بعد عام واحد من انتفاضة الأقصى، وكل ذلك دفع الإدارة الأمريكية إلى تغيير سياستها فى المنطقة عن طريق أمرين:

الأول: كسر التحجر والجهل فى المنطقة العربية.

الثانى: القضاء على الإرهاب.

إنها الأيديولوجية الأمريكية التى تقوم بتطبيق ما تسميه الديموقراطية؛ وذلك عن طريق تطبيق الرأسمالية الأمريكية فى بلدان العالم العربى، والمطالبة بالإصلاح السياسى للأنظمة العربية؛ فالدول التى تتحالف مع الولايات المتحدة عليها تطبيق الإصلاح السياسى، أما الدول المارقة (وهى من وجهة نظر الإدارة الأمريكية سوريا وإيران)؛ فإن لم تطلها الحرب اليوم ستطولها غداً.

فالذى يحدث فى لبنان من صراعات حقيقية ليس السبب فيه هو حزب الله؛ إنما السبب الرئيس فيه هو الإدارة الأمريكية، التى تقف بأعلى صوتها لتنادى بشرق أوسط جديد؛ فكونداليزا رايس تقف فى بدء الحرب الإسرائيلية / اللبنانية تنادى بشرق أوسط جديد، وتعلن عن بدء مخاضه، وعندما فشلت الإدارة الأمريكية فى مخططها وهدفها من هذه الحرب طوت جانب الإصلاح السياسى فى المنطقة، وأعلنت جانب الحرب على الإرهاب؛ فبعد فشل الإدارة الأمريكية فى حربها فى العراق وفى أفغانستان، والصمود

الرائع من جانب الشعب الفلسطينى فى مواجهة إسرائيل، والصمود من الجانب اللبنانى فى مواجهة إسرائيل؛ فشل المخطط الأمريكى الداعى إلى الإصلاح.. فأين الإصلاح؟

وتعلن الإدارة الأمريكية أن هناك التقاء مصالح بينها وبين ما يسمى بالنظم المعتدلة؛ وهى مصر والأردن والسعودية.. أين تلاقى المصالح؟ وأى مصالح بين دولة كبرى وكيانات وأنظمة سياسية؛ فقد فشل المخطط الأمريكى، والدليل على ذلك الاستقالات المتتابعة فى الإدارة الأمريكية؛ حيث استقال جون بولتون من الأمم المتحدة، وخسر رامسفيلد الحرب فى العراق، وانهارت الديموقراطية الأمريكية فى المنطقة.

فأى ديموقراطية هذه التى أتت بها الإدارة الأمريكية مدعومة بدباباتها إلى المنطقة.. نحن من الممكن أن يكون لدينا ديموقراطية فى القضاء والشرطة وفى كل الأنظمة السياسية، دون الحاجة إلى المساعدة الأمريكية؛ فالمظاهرات التى تحدث فى لبنان اليوم هى دليل على رغبة الشعوب فى الإصلاح السياسى، ووسيلة ضغط على الأنظمة السياسية للبدء فى الإصلاح السياسى والاقتصادى، ونأمل أن تؤثر هذه المظاهرات على الأنظمة العربية، وتدفعها إلى الإصلاح السياسى بدلاً من الضغوط الخارجية، وأن تستجيب الأنظمة لمطالب الشعوب.

ثالثاً: أثر الحرب على حركة الشعوب

قد أثبتت الحرب أن هناك مجموعة من الأفراد أو الشباب؛ وهى مجموعة صغيرة استطاعت هزيمة القوات الإسرائيلية، أو بمعنى آخر استطاع حزب الله هزيمة دولة فوق القانون، وأزالت هذه المجموعة الرهبة من وجود إسرائيل.

ومن هنا أثرت هذه الحرب على مفهوم الوحدة بين الشعوب؛ فحينما التف الشعب العربى حول المقاومة أثبتت الحرب وحدة الأمة العربية والإسلامية على اختلاف مذاهبها وطوائفها.

وهناك عوامل عديدة للتطور فى المنطقة العربية:

١ ـ المقاومة العراقية والتأكيد على أهميتها الفعالة.

٢ ـ تطوير الثقافات فى المنطقة العربية، سواء كانت ثقافة سياسية أو غيرها، وتعزيز ثقافة المقاومة.

٣ ـ التطوير والتغيير وفقًا للمتطلبات الموجودة، وليس تغيير مبادئنا وفقًا للمتغيرات الخارجية.

٤ ـ رفض الازدواجية.

٥ ـ تعزيز ثقافة العروبة المستمدة من روح الإسلام الذى هو وعاء حضارى لكل أبناء الأمة، مسلمين عربًا وغير عرب، ويجب من خلاله أن نتجاوز كل شىء.

٦ ـ تعزيز ثقافة المصالحة الوطنية وقبول الآخر.

٧ ـ تعزيز ثقافة الديموقراطية بما أنها ثقافة المشاركة فى بناء المجتمع؛ فالتطور الديموقراطى قادر على بناء المواطنة.

٨ ـ تعزيز ثقافة مواكبة العصر، وتطوير الخطاب الإسلامى بما يتلاءم مع الخطاب الآخر؛ فالشيعة والسنة لا بد أن يقاتلوا ضد الاحتلال.

وأخيرًا هناك ثلاثة تطورات ديموقراطية هامة فى بلادنا العربية، شهدناها فى الآونة الأخيرة عقب الحرب:

ـ الانتخابات فى البحرين.

ـ ما جرى فى موريتانيا.

ـ الانتخابات الرئاسية فى اليمن، رغم ما جرى ما فيها، إلا أنها كانت ممارسة ديموقراطية يعتد بها.

* * *